بسم الله الرحمن الرحيم

# كلمة شهرية بعنوان:

# زلزال القرن


بقلم

**محمد بن سعيد الأندلسي**

عفا الله عنه


لشهر شعبان من سنة ١٤٤٤

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين أما بعد فسبحان من أوحى إلى الأرض فارتجت بمن عليها ... اهتزت وماجت ففزع الناس وارتفعت الأصوات ووجفت القلوب ... فمن نجا منهم لا يعلم أين المفر!؟ وإلى أين يذهبون، وإلى أي أرض غيرها يهرعون ... فالأرض التي كانت أمانا صارت فزعا، والبيت الذي كان حصنا تساقطت أسقفه وأسواره بعد أن كان مَنَعا ... شخصت الأبصار إلى السماء وعُلقت القلوب برب الأرض والسماء ﴿ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ﴾ ... طالت الثواني وامتدت وكأنها ساعات، واشتد غضب الجبار عليهم فأخذهم أخذ عزيز مقتدر ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ ١٠٢ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّمَنۡ خَافَ عَذَابَ ٱلۡأٓخِرَةِ ﴾[هود ١٠٤]، دقيقة واحدة كانت كافية لهدِّ العمران فوق عامريه، واستوت الأرض بالأرض وكأن لم تغنى بالأمس، ذهبت المراكب والمتاع والقصور، بل صارت القصور لأهلها قبور ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[يونس ٢٤]، أي والله لعلهم يتفكرون!! فهل يا ترى يتفكرون؟ ... لقد استيقظ الهلكى تحت الأنقاض يستنشقون الغبار وينزفون من الجراح حتى الموت ... إنها لحظات وأي لحظات بل هي آخر اللحظات يمر عليك فيها شريط الحياة في حال النزيف تحت الركام إلى الممات، لا

تستطيع فيها النهوض ولا رفع ما فوقك من الأسوار والأسقف والبنايات وهيهات هيهات ... انقطع حبل النجاة وازداد اليقين بالفوت والممات، وضعف البدن عن الحركة ولزم السبات، والتفت البصر هنا وهناك! فصاح واستغاث حتى ضعف الصوت وخفتت الآهات ... ونظر إلى صاحبته وبنيه وأمه وأبيه!! وإذا هم به يستغيثون فازداد الألم واستسلم القلب للعجز واعتصر الفؤاد ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَـٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّـٰخِرِينَ﴾ ... ازداد النزيف وقرب الفراق وجاءت السكرات ففارقت الروح جسدا مثخنا بالجراح تحت الحطام ... من النوم إلى النوم فيا ترى على ما نام عليه؟! كيف كانت آخر أيامه ولياليه هل كان مستعدا لهذا اللقاء؟! أم أُخذ على حين غرة دون سابق توحيد وعطاء؟ ﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، أو أنه كان معرضا عن الحق وجافيا مقاليا أو محاربا معاندا أو طاعنا معاديا؟ ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾، تذكر يا عبد الله ألم يأتك النذير؟ ألم تُدع إلى التوحيد الخالص فكنت من المكذبين الساخرين، ألم تقل عنهم شرذمةٌ خارجين أو سفهاءٌ مارقين؟ وكنت عليهم من المستهزئين ﴿بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَـٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ

وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[الزمر ٦١].

تصور أن تُغلق دونك الأبواب في جو دافئ وطعام هانئ، فتخلو بمحارم الله وتحسب أنك في مأمن من عذاب الله، فأنت في بيتك وبين أهلك وعشيرتك، فيأتيك العذاب من تحت أرجلك وينهد السقف من فوقك وأنت على حالك وهذا آخر أعمالك ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾[الأنعام ٦٥]، اتق الله يا عبد الله في دينك وتوحيدك وخلواتك فإن عذاب الله أقرب إليك مما تظن وتخمِّن، فإذا جاء وأنت في غيّك وكفرك فلا أفلحت ولا أنجحت.

سبحان الجبار دقيقة واحدة غيَّر الله بها أحوالاً وديارا، فبعد أن كانت عامرة مُشيَّدة مُحصَّنة مُمكَّنة صارت حطاما كأن لم تغن بالأمس وجرت عليها الأغيار، وبعد أن كان أهلها مالكين للقصور والمراكب والمتاع قادرين عليها طاغين بها صاروا عالة يتكففون الناس من تحت الخيام وسط الأحجار، وبعد أن كان المرء منهم بالزوج والبنين صار فريدا وحيدا دون أهل وعيال وجوار، فما أضعف الإنسان والمخلوق، وما أعظم قوة الخالق والجبروت وكذلك البعث والنشور لو كانوا يعقلون ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ

ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ أَنَّهُمۡ فِيكُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيۡنَكُمۡ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ﴾[الأنعام ٩٤]،

إن في هذا الزلزال عبرة وعضة وذكرى لمن كان له قلب ﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هُمۡ أَشَدُّ مِنۡهُم بَطۡشٗا فَنَقَّبُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ هَلۡ مِن مَّحِيصٍ ۝٣٦ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ﴾[ق ٣٦]، ومن لم تُرجعه هذه النقم إلى الله ويعتبر بغيَّرِه ويصلح حاله مع ربه ويلزم حدوده ويرجع إليه منكسرا ذليلا وتائبا منيبا فلا قلب له نابض ولا خير يرجى منه بل كبّر عليه أربعا إلا أن يشاء الله ... فالمؤمن توقظه هذه العبر وتزجره النقم وترده المثلات فأفق يا عبد الله قبل الزلزلة الكبرى والغاشية العظمى ولا رجعة بعدها﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ۝١ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ﴾[الحج ٢].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه والتابعين

تمت